مُناقشات

رد على نقد

بقلم احمد لطفي

قرات نقد الشعر الذي كتبه الاستاذ فاروق شوشه في العدد الماضي من مجلة الاداب في تعليقه على القصائد المنشورة في العدد الخامس . وسرني انه بدا بالنظرية ، بسطها في ايجاز شان المفكرين المتمكنين ، ثم تكلم عن الشعر الجديد ، ودافع عن الجيد منه نظريا ، وهاجم الرديء منه نظريا كذلك . ثم اختلف الى التطبيق واذا بالنظرية تنقلب في يده انقلابا يكاد يكون تاما . ولم اتبين بشكل واضح سبب هذا الانقلاب .

قال الناقد : ان المشكلة اساسا ـ بالنسبة للشعر الجديد ـ ليست في طبيعة الموقف الفكري لشاعر اليوم ، ولا في نوعيته بقدر ما هي في تمثل الشاعر لهذا الموقف تمثلا شعريا . وتحدث بعد ذلك عن اخطاء بعض الشعراء المحدثين ، وتتلخص في استعراض تعبيرات تشف عن ادعاء المعرفة ، ثم التقورية ، والصمود الزائف والتعقيد الاجوف ، والخطابة . ثم تناول الموسيقى الشعرية ، وهاجم نظرية البناء السيمفوني اذا لم يستلزمها الموقف النفسي للشاعر ، وانتهى اخيرا الى الحديث عن النثرية في الشعر .

ولا شك ان الناقد صادق في هذا كله ، وان كان هذا في اغلبه ذكرا لمثالب قطاع من الشعر الجديد او لضعف بعض الشعراء ، وليس جزءا من نظرية ، ومن ثم لم يتبق من قاعدته النظرية في ميزانه النقدي سوى جملة واحدة هي « تمثل الشاعر للموقف تمثلا شعريا ».

وبرغم ما في هذه الجملة من ايجاز لا يقتضيه المقام في تلك القضية التي تشعبت فيها الاراء ، الا اننا نتجاوز عن ذلك الى محاولة تجشمنا بعض الجهد لفهم ما يرمي اليه والاستعانة في سبيل استكمال الايضاح بما ساقه من مثالب لبعض الشعراء المحدثين .

ان مفهوم التمثل الشعري للموقف على زعمنا ـ حتى لا نقحم على الناقد ما لم يقله ، وهذا امر تقتضيه الامانة ـ يستلزم بداءة تجربة نفسية وشعورية معينة ، وان تكون هذه التجربة معايشة للشعور عند نقلها ـ في قالب الشعر ـ مستغرقة اياه ، وان يصدر العمل في تكوين محدد ، له ابعاد معينة ، والوان متمايزة ، واصداء متجاوبة وسند في الخلف البعيد من نغم متماسك ، يقترب منه لحن ليندمج مع باقي اجزاء التكوين في كل جزئية ، عندما يلمس الشاعر بريشته هذه الجزئية بالذات حتى تنتهي كل هذه الجزئيات والالحان الى التكوين الشعري المتكامل ، صورة ولونا ، وبعدا ، ونغما . كل ذلك في تلقائية دافقة يقف العقل من ورائها على بعد قليل ، حتى لا يفلت منه الزمام ، ويصبح العمل الفني مختل التوازن الشعري ، ومن ثم يصاب ببعض ما ذكره السيد الناقد من مثالب او بها جميعا .

نخلص من هذا التحليل الى ان الصورة في الشعر هي شيء اخر غير الصورة في الواقع .. هي شيء اخر .. لا هي خيال جامح مختل ، ولا هي حقيقة مبسوطة مجردة ، وانما هي تكوين يصل الى العين بالخط وحوله ايماءة وايحاءة ولفتة .. يصل الى الاذن باللحن ولكن حوله الحان اخرى مكملة وموحية وموجهة .. تكوين عضوي جديد يتحكم في خيال وشعور ، وخفقات قلوب الاخرين ، بطريقة غير مباشرة ، وتستمد اقناعها من التكامل في القصيدة الواحدة من بدئها الى ختامها .

ورغم اني اعتقد ان السيد الناقد لا يختلف معي كثيرا في هذا التفسير ، الا انه من الغريب ان شيئا كثيرا من هذا لم ينطبق على قصيدة « تاريخ كلمة » مثلا للشاعرة فدوى طوقان . ذلك انها قصيدة ولو انها لا تخلو من نواحي جمال كثيرة ، الا ان اظهر شيء فيها هو التعبير المباشر الذي لا يصل عن طريق تمثل الشاعر للموقف تمثلا شعريا على ما سلف شرحه . ولعل هذا ما حدث ايضا ايضا بالنسبة لقصيدة « غرباء » التي قد يظهر فيها التمثل الشعري في ابيات ثم يختفي تماما بعد ذلك ، فضلا عن ان نغمها الرتيب قد افقدها عنصر التماسك الشعوري وفكك خطوط التكامل المقنع .

واذا كان الناقد يضع ميزانه النقدي على الصورة التي ذكرتها، فكان يتعين عليه تطبيقه بدقة .

اما انقلاب ميزانه النقدي في يده تماما ، فقد جاء عند حديثه عن قصيدة « شعبان الصياد » للشاعر حسن فتح الباب .

وصفها بانها « ضحلة ضحالة البحيرة التي كان يصطاد فيها شعبان ، ليس فيها توتر ولا حرارة ، تنقصها الدراما التي تهز وتصنع عملا شعريا ملتحما ، تفاعيلها تخرج كثيرا عن النغمة المعروفة لتجد متسعا لها في العلل والزحافات ، اخسست في نهايتها بسؤال : ماذا يريد الشاعر ان يقول ؟ »

ويهمني اولا ما قاله الناقد من ان القصيدة تنقصها الدراما التي تهز وتصنع عملا شعريا ملتحما .

فتمثل الشاعر للموقف تمثلا شعريا كما قال السيد الناقد هو نفسه الذي يصنع عملا شعريا ملتحما دراميا متكاملا .

وما قول السيد الناقد في الجزء الاول من القصيدة ؟ الم ترسم ريشة الفنان بلمسات رقيقة رشيقة ، وخيالات شعرية عذبة ، صورة تكاد تتحرك وتنطق لهذا الصياد اللطيف المحبوب الذي ولد فوق البحيرة حتى ان قميصه قد نسج من زبد الموج لدوام اتصاله بالماء ، ووجهه الذي تركت الشباك على اديمه ظلا ، وهو يضرب الماء بمجدافه الراقص، والذي ينم عن نفسية شاعرية باسمة ، وسط احبابه من الصيادين المجتمعين حوله يسرون نور الشمس وهو يرش الفرحة في الشطين، ويرى الناس وجهه باسما حتى في الظلمة ؟.. ثم هذا النغم الصادر عن ترابط الكلمات وانتقائها ، بالاضافة الى جرسها الموحى بالموج والبحيرة ؟

اليس هذا تكاملا في جزئيه .؟. في مقدمة .. ؟ في مدخل شاعر الى قصة شاعرية ..؟ وما هو التمثل الشعري للموقف ان لم يكن هذا؟

نتنقل بعد ذلك الى الفقرة الثانية من القصيدة ودون تكرار لما تم فيها من لمسات فنان يعرف كيف يمسك ريشته ، وواضع الحان متمكن من انسجام ايقاعه ، يتضح جليا ان راس مال شعبان الذي ورثه عن الاجداد ، وهو الشبكة ، قد ذابت في الماء ، وهو لا يملك ثمنها الان فيختار حرفة تعاونية اخرى هي نقل اهل القرية في قاربه على ضفتي البحيرة ، ويتكاتف الجميع لغوث الملهوف ودوام المعروف .

اي ايحاء في اللفظ ؟ اي لمسات في التكوين تبرز الحب والانسانية في دراية وهدوء ويد مستقرة .

ولا شك انه بالاضافة الى التحام الجزئيات في هذا التكوين وحده ، فهناك التحام تام في الخط واللون والصورة والنغم بين الجزءين الاول والثاني ، وخط درامي صاعد نحو قمة المأساة ...

وننتقل بعد ذلك الى سياق الدراما من خلال الفقرة الثالثة

التي تومي في خيال شعري بديع الى اختفاء شعبان باختفاء قارب .. واختفاء بسمة .. ونجم غارب ، ثم نسيان الناس من زحمة تهالكم على العيش ، ثم تفصح القصيدة عن ان قارب شعبان قد تخرق وطواه الشط عن الاعين ، وصدره يبكي نسيان الاحباب ، واذرع قوية تحاول ان تدفع الموت وهذه قدرة ايحائية جبارة في استخدام اللفظ توصلنا مباشرة الى قمة المأساة الدرامية . ولكن الاطفال من حوله يؤنسونه ويحيونه ويشجعونه .. لا تحمل هما يا شعبان ، فان ايدي الاطفال ايدي المستقبل .. تتجمع لتدفع عنك المد . ما احلى عون الاحباب ، ان شعبان يبتسم من جديد ويعود الى حكاياته عن غوث الملهوف ودوام المعروف .. هذه يا سيدي هي المأساة الدرامية كاملة ..

هذه يا سيدي الناقد هي القصيدة الملحة التي تعكس لك من خلال الصورة الحية الديناميكية لفرد واحد مأساة البشر في كافة انحاء الارض ، صورة العناء ثم المستقبل الباسم ..

هذا يا صديقي الناقد هو التكامل في العمل الفني من الخط الى اللون الى اللحن ، الى الايماء ، الى الايحاء ، الى التكوين الشعري المقنع .

هذا ياصديقي الناقد هو تمثل الشاعر للموقف تمثلا شعوريا ، وهو الميزان الذي اخترته ولم تطبقه على قصيدة واحدة .

اما العلل والزحافات فلعلها صادفت السيد الناقد وحده عند التطبيق . اما ضحالة البحيرة فلم اجد لها اثرا في القصيدة ولا اعتقد ان بحيرة عليها جمع من الناس يسد عين الشمس من الممكن ان تكون ضحلة .

اما ماذا يريد الشاعر ان يقول فارجو سيدي الناقد ان يقرأ القصيدة بامعان كبير وبعينيه هو فاذا لم يفهم بعد ذلك الام قصد الشاعر فليس هذا ذنب شاعر ياخذ بميزان نقدي سليم .

ولا تنس يا اخي ان القلم في يد الناقد هو قلم قاض ، فان كان القاضي جاهلا بقانون يطبقه فالويل لاصحاب الحق ، واما اذا كان يعلم به فالله وحده هو المحاسب .

ولا ارى الحديث يتسع بعد ذلك لمناقشة باقي القصائد التي حكمت عليها ، وفي عودة الى تطبيق ميزانك النقدي سوف نلتقي بباقي الشعراء .

القاهرة — احمد لطفي

العربية في ايران

بقلم زكي الصراف

يحتدم الجدل اليوم في ايران ، حول تدريس اللغة العربية في مدارسها ، فمن منتصر مدافع عنها واخر متحامل داع الى رفعها من منهج الدراسة وتخليص الناشئة من مشاق لغة لا يجنون منها اية فائدة !

وقد تطور النقاش حتى بلغ صفحات الجرائد والمجلات واثير في الراديو ، فاستطلعت مجلة « اطلاعات جوانان » اراء رجال الفكر والادب حول الموضوع ، عالجته مجلة « الاخاء » الصادرة بالعربية في طهران اكثر من مرة واذيعت عدة احاديث عن هذه المشكلة .

والواقع ان هذا الموضوع لم يكن وليد اليوم ، وهذه الضجة لم تثمر للمرة الاولى ، فتدريس العربية في ايران يكاد يكون من مشاكلها التعليمية المزمنة التي لم تجد لها الحل على الرغم من بحثها من قبل الكتاب والمعنيين بمثل هذه الامور ، حتى اللجان والمؤتمرات المعقودة لهذا الغرض لم تجد نفعا فبقيت ، المشكلة مثار جدل وموضع اخذ ورد وبقي الطلبة ينفرون من لغتنا ويضجون بمر الشكوى مما يلاقونه في دراستها !

وتدرس لغتنا في ايران منذ اقدم العصور ، لا لانها لغة الدين فحسب ، بل لان امتزاج الامتين روحيا وتفاعلهما عقليا طيلة عدة قرون في الاسلام والحكم العربي ، قد ادى الى تغلغل اللغة العربية في صميم الفارسية وتداخلها في جزئياتها بحيث لم يعد في مكنتها الخلاص من تاثيرها ، لذلك اصبح من المتعذر فهم الفارسية والوقوف على دقائقها وفهم كثير من نصوص ادابها ما لم تدرس العربية .

لهذه الاسباب ظلت ايران محافظة على رعاية اللغة العربية في بلادها ومهمته بتدريسها حتى بعد نهضتها وتاسيس المدارس الحديثة والاخذ بالعلوم الجديدة ، فقد جعلتها من المواد الاساسية التي تدرس في مراحل الدراسة المتوسطة والثانوية وبعض الكليات .

ولكن على الرغم من ذلك فانها بدات في ظل النظام الجديد تنحدر رويدا رويدا وينحسر ظلها شيئا فشيئا حتى بات يخشى ان يحل يوم وقد فقدت فيه كل سطوتها ونفوذها .

فبعد ان كان الاديب الايراني يفخر باجادته العربية وبعدها من اسباب تبريزه ويطعم كلامه بمثلها وشعرها بالنص العربي مدلا بذلك على براعته وموهبته ، اصبحنا اليوم نراه يرطن بلغات اخرى دون ان يأبه بالعربية وادابها ان لم يسخر منها .

فلماذا تنكر الجيل الجديد للغتنا ؟

لهذا اسباب واسباب . منها ما لاحيلة لنا فيه حيث يعود الى نواميس اجتماعية وبيولوجية تجعل الامة المغلوبة ـ ولو حضاريا ـ تقلد الامة الغالبة . وامتنا اخلت مكانها في هذا المجال في ايران للامم الغربية الحديثة ففقدت لغتنا نتيجة ذلك جزءا كبيرا من هيبتها وسطوتها ولم تعد لغة الثقافة على الاقل كما كانت سابقا .

ولكن ثمة اسبابا اخرى هي التي تعمل حثيثا على القضاء على البقية الباقية مما للغتنا في ايران من مكانة ومقام . ويمكن اجمال ذلك : بالطريقة التي تدرس بها ثم عدم كفاءة مدرسيها . حيث ان اكثرهم من المعممين او (الافندية) الذين لا يعرفون منها غير قواعد مبتسرة قليلة لا يفقهون معناها .ثم ان اهتمامهم منصب على اصعب دروس النحو والصرف دون الاستعانة بالطريقة الاستقرائية . وناهيك عن دعوات الغلاة من الشوفنيين او الشعوبيين ضد العرب والاسلام وما اكثرهم هناك وعلى راسهم اتباع المارق المعروف « كسروى » الذين لم يهاجموا مبدأ تدريس اللسان العربي فحسب بل اعتبروا وجود الفاظها بلغتهم تشويها ومسا بعظمة واستقلال ايران .

وقد بذلوا الجهد الجهيد وحاولوا المستحيل (لتنقية) اللغة الفارسية وكانت محاولاتهم تثير الاشفاق وتضحك الثكالى !!

ولما باء هؤلاء بالفشل انبرى اخرون .. وربما اخذوا على عاتقهم (او كانت مهمتهم) ان يجبروا الخواطر ويطيبوها وان يخلقوا من الفشل الذي توهموه نصرا وان يتداركوا ذلك (النقص) بدعوة اسخف واكثر اثارة للضحك وهي .. (ان العربية تعود بجذورها الى الفارسية ولا داعي لكل هذا التعب فالعربية هي التي اخذت من الفارسية لا العكس) !

وهذا الهراء يذكرنا بنظرية (شمس اللغات) التي تفتقت عن (عبقرية) مغال تركي اخر اعمته عنصريته من ان يرى الوقائع التاريخية واللغوية على حقيقتها فادعى ان التركية المعروفة بفقرها وبان اكثر الفاظها عربية وفارسية .. ادعى ان التركية اصل اللغات ومنها تشعبت وتفرغت العربية والفارسية

وعلى اي حال فقد هال الغيُر من ابناء ايران «قبل ابناء الضاد» ما انتهت اليه العربية في بلادهم كما اثارتهم تلك الدعوات فهبوا ينصرون للغة القرآن في ايران . ويتنادون لدراسة مشاكلها .

واذكر من تلك الدعوات الكريمة المقالات التي كتبها منذ خمس عشرة سنة السيد جواد تارا في مجلة « اموزش وپرورش » في سنتها الرابعة عشرة والاستاذ مرتضى مدرسي والاستاذ سليمي في مجلة « كلهاي رنكارنك » « عدد ٦ ــ ٥٢ سنة ١٤ » وسواهم ممن لايحضرني اسماؤهم الان . وقد دافع الجميع عن لغتنا فالسيد جواد يقول انها تكمل اللغة الفارسية ولا غنى لها عنها وتاثيرها فيها نفس التاثير الذي للالات والمخترعات والمكتشفات في الحضارة الجديدة .. على حد تعبيره .. وقال الاستاذ سليمي بعد اطراء العربية ووضعها على رأس اللغات الحية « ان من لايعرف العربية لايمكن ان يجيد الفارسية بتاتا » ودعا الى الاهتمام بلغة الضاد لكي يفهموا تاريخهم وادابهم ويلموا برائع الفكر والادب المدون بهذه اللغة على الاقل . وخلص من ذلك الى القول : « انه يجب ان نذعن سواء شئنا او ابينا ان لغتنا الفارسية اليوم هي تلك اللغة العربية ولكن باسلوب فارسي » .

ولم يفتر هؤلاء المخلصون لحظة ولم يبخلوا بجهودهم فعندما زرت ايران منذ خمس سنوات لقيت الكثيرين منهم متحمسين للغة العربية يذودون عنها ويبذلون المساعي لرفع شانها في بلادهم . ولا يفوتني هنا ان انوه بجهود الدكتور وارستة « المختص بتدريس اللغات في لندن» وبمواقف الشاعر المرحوم سرمد والعلامة علي اصغر حكمت .

وعند عودتي يومئذ الى العراق تعرضت لهذا الموضوع واشرت الى ما تعانيه لغتنا من ازمة خانقة في ايران وشرحت ملابساته في جريدة الحرية البغدادية الغراء في عددها المرقم ٤٩١ الصادر في ٢٣ ــ ٢ ــ٩٥٦ اي قبل اثارة الموضوع اليوم بنحو خمس سنين .

واخيرا جاءت مقالات « اطلاعات جوانان » و « الاخاء » لتتوج تلك الجهود المشكورة . وان ماصرح به فطاحل علماء ايران وافذاذ ادبائها امثال العلامة « فروزنفر » و « همائي » والدكتور كيا والدكتور صفا والدكتور عيسى صديق وزير المعارف من تاكيد على ضرورة تدريس العربية حتى قال احدهم بالحرف الواحد : « من لايجيد تعلم العربية لايمكن ان نطلق عليه اسم المتعلم » .

ان ماصرح به هؤلاء لخير انتصار للغتنا وثراثنا مما يبعث على الفخر والاعتزاز كما يبعث على الاطمئنان على مستقبل لغة الضاد هناك .

ولكن مع ذلك يجب على الدول العربية وجامعتها ان تولي هذه القضية عنايتها وتتحمل قسطا من الجهد المبذول في هذا الشان بالطرق التي تراها ناجعة ، لان ذلك يهمنا بقدر مايهم ايران حيث ان تدريس لغتنا سواء في ايران او في سواها الى جانب اهميته الدينية فانه لا يخلو من تحقيق غايات سياسية نحن بامس الحاجة اليها اليوم في معركتنا مع الاستعمار والصهيونية ... ولتحقيق مثل هذه الغايات تتبارى الدول الكبرى في نشر لغاتها والدعوة لتراثها في البلدان الاخرى .

بغداد — زكي الصراف

الطبعات الجديدة الفاخرة

لدواوين الاستاذ نزار قباني

قصائد

طفولة نهد

قالت لي السمراء

انت لي

تصدر قريبا جدا عن

المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر